

الفتوة وأطوارها
وأثرها في توحيد العرب والمسلمين
مصطفى جواد

مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الخامس 1377 - 1958

الفتوة وأطوارها (*)

وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الفتوة في اللغة صفة الفتى ، وهي على حسب نظري في الاشتقاق مأخوذة من الفتى كما أن الرجولة مشتقة من الرجل ، وقاعدة علماء الصرف أن الاشتقاق يكون دائماً من أسماء الماني لا اطراد لها في رأي فكثير من المشتقات تؤخذ من أسماء الذات .

والفتوة في الاصطلاح الاسلامي هي : مجموع الصفات التي يتحلّى بها الفتى من الشجاعة والسخاء ، والابثار والعصية الدينية والصدق والوفاء والحياء ، واتباع الحق ونصر صاحب الحق ، والمطالب به وإخلاص العبادة وإغاثة المضار ورعاية النساء واليتامى .

وقد وصف الامام علي بن أبي طالب بالفتى يوم وقعة أحد قال المولى علي القاري نقلاً من كتاب فردوس المجاهدين : « أول ما قيل : لافتي إلا علي . يوم أحد . وذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أعطى الراية لملي فقاتل هو ورجال من الصحب الكرام . وروي أنه لما أشد القتال يوم أحد جلس رسول الله — ص — تحت راية الأنصار وأرسل الى علي أن قدم الراية . فتقدم ونادى بين الصفوف « أنا أبو القاسم » وبارز وقاتل حتى قيل في حقه : لافتي إلا علي .^(١) وقال علاء الدين السكتواري : « وزيد بسد ذلك ، لما انتقل إلى علي وصاية ووراثته الصيف المشهور المسمى بذي الفقار ، قول [بعض] الأخيار الطويلين : لاسيف إلا ذو الفقار . وهو اسم سيف النبي — ص — »^(٢) .

وقال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني الشافعي في سيرة علي بن أبي طالب : « وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكبر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانساب اليه

(*) خلاصة محاضرتين ألقينا في المحرم العلمي العراقي في آخر موسم المحاضرات من سنة ١٩٥٢ م .

(١) كتابه الأوائل والأواخر ، نسخة دار الكتب الوثنية بباريس ٢٠٢٩ الورقة ٣٧ .

(٢) محاضرة الأوائل ومقدمة الأواخر ، ص ٦٩ .

حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها : أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك .
فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجمالوا لذلك إسناداً أبوه إليه وقصروه
عليه وسموه (سيد الفتيان) وعصودوا مذهبهم بالبيت المشهور أنه مع من السماء يوم أحد :
لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا علي^(١) .

والتمريف الذي ذكره ابن أبي الحديد الدائني للفتوة هو تعريف صوفي ، وقد كثرت تعاريف
الفتوة على حسب اختلاف المربين ، فالصوفية نظروا إليها بمنظار الزهد والايثار والسلوك
الروحاني ، كما جاء في التعريف القديم ذكره ، وآخرون نظروا إليها بمنظار الحياة الاجتماعية . قال
معاوية بن أبي سفيان : « الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في ماله ،
وتنصفه ولا تطالب بالانصاف ، وتكون نبأ له ، ولا تطالب أن يكون نبأ لك وتحمل منه الجفوة
ولا تجفوه ، وتستكثر قليل برئه ، وتستقل ما يصل منك إليه^(٢) » . وفي هذا التعريف إشار
وزيادة عليه من مكارم الأخلاق .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن الممار الحنبلي البندادي في كتابه
« الفتوة » : « اعلم أن الفتوة اسم موضوع يقال على أسماء : أحدها في اصطلاح العرف عبارة
عن صفات محمودة إسم بها شخص على وجه مخصوص وامتناز بها على أبناء جنسه فأوجبت له اسم
فتى ويشهد لذلك قوله تعالى : إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم^(٣) . وأما
السُّنَّة فقد ورد في الفتوة أخبار المختار منها ما رواه جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال : قال
قال رسول الله — ص — : لفتيان أممي عشر علامات . قيل يا رسول الله : وهل لأمتك فتيان
قال : نعم وأبين الفتوة الأولى من فتوة أممي ؟! قيل : وما تلك العلامات يا رسول الله ؟ قال :
صدق الحديث والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الكذب والرحمة لليتيم وإعطاء السائل وبذل

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩ طبعة الباني الأولى .

(٢) تلخيص معجم الألفاظ لابن القوامي ج ٤ ص ٢٦٨ من نسخة المخطبة المنقولة ، مصححة عن نسخة
الشيخ العراقي للصورة من دكر الكتب الظاهرية بدمشق .

(٣) سورة الكهف الآية ١٣ ، ١٤ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

النائل وإكثار الصنائع وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء ^(١) .
ولا نستطيع أن نبسط القول في ذكر جميع ما قيل في الفتوة فذلك يسود جزءاً مستقلاً ، وإنما نريد أن نذكر أن الفتوة من حيث هي مذهب إسلامي ديني اجتماعي قد تطورت كسائر المذاهب الدينية الاجتماعية في الإسلام وغيره . وقد جرى تنازع في ادعائها فالتصوفون يمتدحون أن فتوتهم في ربُطهم وخانقاهاتهم وتسكياتهم هي الصحيحة ، والشعبيان الأسخياء السادرون يظنون أن فتوتهم هي الفتوة العملية الصحيحة ، إن التطور المادي العملي أسرع من التطور الروحاني النظري ، فذلك تغيرت الفتوة إلى غناء وشراب عند الراغبين في الدنيا والاهو والتمتع والحرية والتسلط ، وانقلبت الشجاعة الشرفة إلى شطارة وعيابة ، فصارت فتوة عنيفة وأصبح الفتيان في الأمة طبقة متميزة كل التميز ، حتى في اللباس والكلام . والظاهر أن حكام الدول الإسلامية وأمرائها كانت قد انحرفت سبهم عن السبيل السوي للإسلام ، فوجد الفتيان طريقاً إلى ما ربههم وتبدل مشاربهم ، والناس على دين ملوكهم ^(٢) . وقد وصف الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من أهل القرن السادس فتوة زمانه وفتيانها وإذا هم من الشعبيان الأشرار المعروفين بالعارين قال : « الميارون يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزني ولا يكذب ، ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة . ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، ويسمئون طريقهم الفتوة ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويحملون إلياس السراويل للداخل في مذهبهم كاللباس الصوفية للمريد المرقمة [يعني الجبة المرقمة] وربما سمع أحد هؤلاء من ابنته أو أخته كلمة زور لا تصح وربما كانت من معرض قتلها ويدعون أن هذه فتوة ، وربما

(١) كتاب الفتوة لابن القيم ، الورقة ٤ - ٦ من نسخة دار الكتب ببنسكن بألمانية ، في خزنة الدكتور تقي الدين الحلالي .

(٢) ولذكر مثالا من ذلك قال الطبري في سيرة الوليد بن عبد الملك : « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ الصنائع والصباغ وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعض بعضاً عن الباء والصائم ، فولي الخلافة سليمان بن عبد الملك وكان صاحب بناء وشتم فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى ، فلما ولي عمر بن العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردت الليلة وكتم تحفظ من القرآن ومتى تحتم القرآن ومتى ختمته وما تقوم من الشهر ؟ » .

افتخر أحدهم بالصبر على الضرب ^(١) .

وقد تطورت الفتوة تطوراً عجيباً على اختلاف المصور . ولا أرى بأساً في الحديث من أم أطوارها ، وأنظم أدوارها لاظهار الفروق فيها وبيان تاريخها وتأكيد أن التطور لا يعلم منه مذهب اجتماعي أبداً ؛ فقد جاء في أخبار أبي كعب حنين الحيري ، من كبار الفتيان في أيام بني أمية ، وقد أخذ هشام بن عبد الملك معه مرة إلى الحجاز بغيره ، أنه قال : خرجت إلى حصن التمس الكسب بها وأرتاد من استفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون ؟ فقيل لي : عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فحلت إلى أحد الحمامات فدخلته فإذا فيه جماعة منهم فأناست وانبسطت وأخبرتهم أنني غريب . ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلما قدمنا أتيننا بالطعام فأكلنا وأتيننا بالشراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في مقن يفتيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، ها تروا عوداً . فأنيث به ، فانبسطت بأراجيز مبهمة ، فكأنما غنيت للحيطان لا فكها انثائي ولا سرها به ... إلى أن يقول : « فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتفت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة ^(٢) . وذكروا أنه كان في أول أمره يحمل الرياحين إلى بيوت الفتيان والموسرين من أهل الكوفة وأصحاب القيان والمطربين بالحيرة ^(٣) .

وبهذا الخبر نعلم أن سماع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة ثم إن خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك حرّم الغناء بالعراق ، وكان متنافه من السيرة فدخل عليه حنين الحيري ومعه عود تحت ثيابه فقال لخالد : أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرّمها الأمير فأفسر ذلك بي بهم . فقال خالد : وما صناعتك ؟

(١) التمس في تليس ابليس ، ص ٢١ ، الطبعة الأولى .

(٢) الأغانى ، ٣ : ٣٤٦ ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) المرجع المذكور ، ص ٢٤٥ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

فكشفت عن عوده وقال : هذا المود . فقال له خالد : غنّ ، فركّ أوتاره وغنى ألياناً لمدي
ابن زيد المبادي :

أرواحُ مودّعٍ أمُ بكورُ لك فامد لأيّ حال تميرُ

ويقول المُدّة أودى عديّ وعديّ بسخط رب أسيرُ

أيها للشامت الميرُ بالهم... ر أنت للبرأ المورُ ؟

أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرورُ

من رأيت الفونَ خلدن أم من ذا عليه من أن بضم خفيرُ ؟

فبكي خالد القسري وقال له : قد أدنت لك في النداء وحشدك خامة فلا تجالس سفيهاً

ولا مُعربداً . فكان حين إذا دعي إلى حفلة للنداء قال للحاضرين : أيكم سفيه أو مريد . فاذا

قبل له : لا . دخل المجلس^(١) . وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالبرد أن خليلان الأموي

كان يتفتى ويرى ذلك زائفاً في الفتوة ، وكان خليلان الأموي شرجفاً خاسعة ونعمة^(٢) .

وعلمنا من خبر حنين الأول أيضاً أن من عادات فتیان ذلك الزمان الشرب أعني شرب

المسكر ، قال الجاحظ : « بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يمتدحون بكثرة الشرب كما

يمتدحون بقلة الرزق^(٣) » .

وذكر الجاحظ أيضاً عن محمد بن أبي المؤمل من معاصريه في القرن الثالث أنه قال : « من

لم يشرب على الربق فهو نكس في الفتوة ودعي في أصحاب النبيذ » . وذكروا أن أحمد بن

الفرج الحصري كان يتفتى أي يمد نفسه من الفتیان وكان يشرب المسكر مع فتیان مُردان بسوق

الرمّس سنّة ٢١٩ هـ^(٤) .

(١) الأغاني ٢ : ١٥٢ ، ٢٤٨ .

(٢) الكامل ٢ : ١٩٦ ، طبعة الدار الجونى لأزمري .

(٣) كتاب البخل ٢ : ١٨٩ ، طبعة مطبعة ابن زيدون من ١٨٩ .

(٤) كتاب النجلاء ٢ : ١٥٨ ، وتاريخ بغداد الخطيب البغدادي ٢ : ٣٢٩ - ٣٤١ .

وفي الربع الأول من القرن الثالث للهجرة تميّزت هذه الفتوة اللاهية العابثة تميزاً تاماً بصفتها وأحكامها ومصطلحتها، وصار لها من يتولى الافتاء في أحكامها ويعرف بقاضي الفتيان ومن اشتهر بقضاء الفتيان « أبو الفاتك بن عبد الله الديلمي الملقب بقاضي الفتيان » وكان يسكن بياب بجلة الكرخ بالجانب الغربي من بغداد ويجمع عنده الفتيان ، وهو على طليهم آداب الفتوة لذلك الزمان ومن ذلك قوله : « الساتي لا يبغي أن يكون محدثاً ولا منالطاً ولا عالياً ولا حريصاً ولا مفكراً ولا متكثراً ولا محتبياً ولا مشغلاً بأمر غيره » . وله فصول في آداب الفتوة (١).

وقال الجاحظ : « قبل للحارثي بالأمس : لم تبيح الطعام لمن لا يحمذك ، ومن إن حمدك لم يحسن أن يحمذك ، ومن لا يفصل بين الشهي النذية والنذيط الزم ؟ قال : ينبغي من ذلك أبو الفاتك . فقيل له : ومن أبو الفاتك ؟ قال : قاضي الفتيان . قيل له : فما قال أبو الفاتك ؟ قال قال : الفتي لا يكون نشافاً ولا نشالاً ولا مرسللاً ولا لكماً ولا مصاصاً ولا نفاضاً ولا دلاً كاً ولا متورداً ولا مغربلاً ولا محلفاً ولا مسوفاً ولا مبليهاً ولا مخضراً ، فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاس والداد والدفاع والمحول (٢) ؟

وقد ذكر جماعة من المؤرخين أن التوكل على الله المباس أمر يقطع أذن نديعه أي عبد الله ابن حمدون ونفاه إلى تكريت على حسب قانون الفتيان (٣) ، وهذا يدل على أن التوكل كان يعد نفسه من الفتيان . وأشهر من عثرنا على سيرته من أدباء الفتيان « إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب البهراني » . قال ابن شاكر الكتبي في سيرته : « كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرته الشطار والتصيّد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده وكان إذا راجعك الكلام لم تكذبك من مراجعته من حسن ألفاظه ،

(١) تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٢٩٢ .

(٢) الجلاء ٥ من ١٠٥ .

(٣) المصروع القيقق « نسخي المصورة ، الورقة ١١٣ » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

حبس مرة بجنابة جناها فقال الشعر في السجن ثم ترقى حتى مدح الملوك وُدُون شعره ، ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطبقور الى أن توفي في حدود سنة ثلاثين ومائتين ومن شعره :

الدحو يسط من لسان الألكن والمره تكرمهُ إذا لم يَلْحَن
وإذا طلبت من الموم أجلبها فأجلها عندي مقيم الألسن^(١)

وفي ذكر الخطوط العامة لسيرة إسحاق بن خلف بيان لفساد الفتوة في القرن الثالث للهجرة وخطرها على المجتمع ، وعدنا من كلام نقله مؤلف كتاب « نثر الدر » من بعض كتب الجاحظ أن الفتيان في ذلك العصر كانوا ينفرون الشبان بالدخول في تلك الفتوة المارمة السائرة الشاطرة الشاطرة ، قال قال الجاحظ : إن الشطار ليخلو أحدهم بالفلان الغريب فيقول له : لا يكون الفلان فتى أبداً حتى يُصادف فتى وإلا فهو تكش — والتكش عندهم هو الذي لم يؤدبه الفتى ولم يخرج به — . قال « فإلما المذب البارد بأسرع في طباع العطشان من كلاته هذه إذا كان للفلام أدنى هوى في الفتوة وأدنى داعية إلى الشطارة^(٢) » .

وانقلب الفتيان شطاراً تهاوين يخلون بالآداب وينشرون الاضطراب ويخيفون السُّبُل ويطفون الأُمة ، وهم في كل ذلك يستندون إلى سند مروي ، وأقوال منقولة ، ومذهب يدعون له القدم ، ويجرون للفتوة أموراً يدعون أنها لا تم إلا بها ، ومن كلام هؤلاء الفتيان الشطار في الافتخار « أنا الراج السكدر ، أنا القفل العسر ، أنا الفار ، أنا العار ، أنا الرحي إذا دار ، مشيت أسيرمين بلا رأس ، وأكلتُ جميع ما في قسود المراس ، أطفُفُ رأسك وأجعل زُرُ قيصي ، أستهفك فلا أعطشك إلا في الجحيم ، وأشربك فلا أبولك إلا على الصراط المستقيم ، وبك لو كلمني الفيل لم يحرس أو البحر لم ينس أو عصي الكلب لم يفرس أو زارني النمرود ودد النعديس ، أسدقائي أكثر من خوص البصرة وخرذل مصر ومعدن الشام وحصى

(١) غوات الوفيات ١ : ١٦ ، ١٧ ، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) كتاب نثر الدر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٩٠ الورقة ٥٣ » .

الجزيرة ، وشوك القاطول وحنطة الموصل وقصب البطائح ونبق الأهواز ، أشرب الرمل فأخراً
سخراً وأبلع النمر فأخراً فخلا (١) . وكانوا يسمون الطنبور « الحرب » لأن الأجر لا يدع
الحك ولا أن اللهج بالطنبور لا يكاد يرضه من يده (٢) .

وقد ذكرنا أن الفتيان كانوا متميزين عن غيرهم حتى في الملابس ، قال أبو تراح يشكو قلّة
الفتيان : « ذهب الفتيان فما ترى فتى مُفرق الشعر بالدهن ، معلقاً نعله ، ولا ديكين في
خطار إلا سديقاً له سديق إن قرّضنا وإن عُوقب جيزع ، وإن خلا بسديق فتى خبيثه ،
وإن طال حبسه ضجر ، ولا ترى فتى يُحسن أن يمسي في فبده ولا يخاطب أميره » ، وقال أبو
عباسة : « ترى ذقاق براقش وبساتين هزار مرد ما كان يسلكه غلام إلا بخفير وهم اليوم
يخترقونه » . فقال له رجل : هذا من سلاح الفتيان . فقال أبو عباسة : لا ولكن من
فسادهم (٣) .

فأبو عباسة متأسف على أن الفتيان كفّوا عن قطع الطريق على الناس في ذلك الزقاق وتلك
البساتين وعدّ ذلك من فسادهم لأنهم فقدوا شجاعتهم وتركوا عدوانهم على الناس وإخافتهم
السبيل ، والسلب والنهب .

وأظهر ملابس الفتيان سراويل ثمرى سراويل الفتوة وحزام يشد به خصر الفتى عند
تفتيته (أي جملة فتى في عداد الفتيان) ويظن بعض الباحثين (٤) إن كلمة « شفالري
» Chevalerie الفرنسية التي بمعنى « الفروسية » مشتقة من « سروال » العربية التي هي مفرد
سراويل الفتوة ، مع إضافة الكاسعة « ري Rio » إليها للدلالة على الاسم . ومن المراقبين
اليوم من يسمي السروال القديم الوجود « الشروال » ، وإنما يحاول بهذا القول نسبة الفتوة

(١) نثر الدر للذكور ، الورقة ٣٠ أيضاً .

(٢) المجموع اللبيب ، نسختي للمصورة ، الورقة ١٧٥ .

(٣) البيان والتبيين ٤ : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٤) La Tradition Chevaleresque der Arabes par Wacyf Botros. Paris 1919. (٤)

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الافرنجية الى الفتوة المريضة وليس ذلك بعيد .

وكان الفتيان يشربون في حل الفتية مدام مشوياً بالملح ، لأن الملح من المواد المقدسة فهو يسلح كل ما فسد ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة ، وله فوائد أخرى ، والحكمة في شربه بمزوجاً بالماء ، أن الماء حذب واللوحه ضد الصنوبه فكان فيه إشارة الى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأساء والضراء ، وأن يحصل البلاء ، ويشكر على النعماء ، وأن يحصل الرفيق في كل وجه ومضيق ^(١) .

وقد جاء في كتاب المقابسات لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي قوله لبعض أصدقائه : « وفي الجلة أسألك بالملح الذي يتقاسم به الفتيان ظرفاً أن تعذني من قصير تمر عليه ^(٢) » . وذكر أبو حيان عن التوشجاني أن الفتوة كانت تشمل في القرن الرابع للهجرة والمجده والجلود والمفظة والنبجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير وأن المروءة أشد لصوقاً بياطين الانسان فكانت الأولى أخص والثانية أعم أي لا خوة لمن لا صوة له وقد يكون ذا صوة ولا فتوة له فأما إذا اجتمعت فقد أخذ الجبل بطرفيه وملك الأمر بخويبه ^(٣) .

والمعجب كل المعجب من أبي حيان التوحيدي كيف جمع في كتبه هذا الوصف الجليل لفتوة زمانه مع الخبر الذي ذكره عن قاضي الفتيان ، فقد أورد هذا الخبر التبيين لفتيان القرن الثالث للهجرة في كتابه « البصائر والخصائر » بقوله : « قيل لقاضي الفتيان ^(٤) ... » . وقد طبع الجزء الأول من كتاب البصائر والخصائر للرحوم الأستاذ أحمد أمين والسيد أحمد مقرر ، ولم يعرف من قاضي الفتيان شيئاً ونصحت عليها شيء من الكلمات في هذا الجزء وغيره ، وقد ذكرنا أنه أبو الفاتك الديلمي . وكان يمدد للفتيان قضاة قلما عني التاريخ بهم ، فمن ذكروا منهم

(١) الفتوة لابن العمار « نسخة توينكن الورقة ٦٢ » .

(٢) المقابسات « ص ٧٤ طبعة الهند » .

(٣) المقابسات « ص ٩٦ » من الطبعة المذكورة .

(٤) البصائر والخصائر « ١ : ١٦٥ » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

شمس الدين بن البعلبكي قال المؤرخ أبو شامة للقيسي في وفيات سنة « ٦٠٢ » هـ وهي سنة وفاة البعلبكي : « وفيها توفي شمس الدين بن البعلبكي ... وكان قاضي القضاة بدمشق [وكانت وفاته] في العشرين من سفر وهو الذي بعث إلى مصر ليشهد الملك الكامل بن العادل الأيوبي فتوة للخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك ^(١) » . يعني بالأمر المذكور أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله محمد الفتوة ومُوحِد العرب والمسلمين ، وسيأتي حديثنا عنه .

ويجب أن نلاحظ في القرن الرابع للهجرة عظم الفرق بين الفتوة النظرية والفتوة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال أي عدم القيام بمحقق الفتوة وأدائها أولاً ونجاعة أعمال القضاة لقانونها ثانياً ولا حير في الأقوال إذا لم تصحبها الأعمال والأعمال في كل أمر من الأمور وكل شأن من الشؤون .

وكان من الطبيعي والبدهي ممّا أن تتأثر الفتوة بالحال الاجتماعية في القرن الرابع فقد تفاقمت في العراق وخموصاً بغداد المصيبة الذميمة ، باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس المقتسمين ، وكان بدوياً أن ينصروا للمذهب الذي يمتدونه ، وأهل ذوو أغلبية ، خثار بين الطوائف نزاع مسلح ذهبت فيه النفوس والأموال وساءت به الأحوال ، وامتزجت الفتوة بالعبادة والمطاهرة ، والمفتن المنحبة القموية .

قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة « ٣٦١ » هـ : « وفي هذه السنة وقعت بغداد فتنة عظيمة وأظهروا المصيبة الزائلة ونهزب الناس وأظهروا الفساد ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنصار العامة للفرز واجتمعوا وكثروا ، فتوفد بينهم من أصناف الفسوة والمفتين والسنة والفتنة والميادين ، نهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور ، وفي جملة ما أحرقت محلة الكرخ وكانت محلل التجار والشيعة ، وحرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي الحسين اللوحوي والد الشريف الرضي واللوزيري أبي الفضل الشيرازي عداوة ^(٢) » .

(١) دمل الروضتين ص ٦٩ .

(٢) الكامل في حوادث سنة « ٣٦١ » هـ .

الفتنة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

والسبب في استنفار العامة للفتنة ، والصحيح للارتقاء ، أن ملك الروم أغار على الرها وغيرها من نواحي الحريرة حتى بلغ نصيبين وسبي السلطات والمسلمين وأحرق بلادهم وأخربها وفعل مثل ذلك بديار بكر وكان ذلك في السنة عينها أي سنة ٣٦١ قدم جماعة من أهل البلاد المستباحة المجتاحة إلى بغداد مستعصرين مستغربين ، وقاموا في الخوامع والمساجد والشاهد وذكروا ما فعله الروم من القتل والأسر والسبي والنهب والاحراق وانضم إليهم كثير من عوام بغداد وقصدوا دار الخليفة المطامع لله البباسي وأرادوا الهجوم عليها لأنه الخليفة المسؤول عما يصيب المسلمين أديانهم وأقصادهم ، فمنهم الحراس وأعانت دولهم أبواب دار الخلافة فتكلموا على الخليفة بما استقبح ذكره جماعة من المؤرخين فلم يذكره ، وقد نسبوا الخليفة إلى العجز عما أوجب الله على أئمة المسلمين من حياضهم ورعايتهم وحفظ بلادهم وأموالهم وأهواضهم فضلاً عن نفوسهم (١) .

وظهر في تلك الفتنة عدة قواد من الفتيان البيارين وتقسما السلطة في بغداد (١) . وأشهر أولئك القواد ابن كبرويه وأبو الدود وأبو القباب وأسود الزبد وأبو الأربعة وأبو الدوايح ، وكان أسود الزبد عبداً يأوى إلى قنطرة الزبد ببغداد وبلدة القطر النوى ويستعظم من يحضر هناك بالهر واللعب وهو عريان لا يجرى إلا بخرقه ولا يؤبه له ولا يُبال به وبغضى على ذلك دهر ، قال أبو حيان : فلما حلت الفتنة وفشا المهرج والمرج ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله طلب سيفاً وشعنه ونهب وأغار وسلب وظهر منه شيطان في جلد إنسان ومسح وجهه وهذب لعضه وحسن جسمه وعشيق وعشيق والأيام تأتي بالمرائب والمصائب ، ولما دعي قائداً وأطاعه الرجال وأعطاه الأموال وفرق فيهم وطلب الرئاسة عليهم صار حبيباً لا يرام ، وجماء لا يُضام ، فلما ظهر من حسن خلقه مع شره ولعنته وسفكه لدم وهتكه للحرمة وركوه للعاشة وعمره على ربه القادر ، وما لسه القاهر أنه اشترى جارية كانت عند النخاسين بألف دينار ، وكانت حسناء حميدة ، فلما حصلت عنده حاول منها حاجة فامتنعت عليه ، فقال لها : ما تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال لها : فأتجيبين ؟ قالت : أن تعيبي .

(١) للرجم للذكور في السنة المذكورة .

قال : أو خير من ذلك أعتقك وأهب لك ألف دينار قالت : نعم . فأعتقها وأعطاهم ألف دينار بحضرة القاضي ابن الدقاق وعند مسجد ابن رغبان . فعجب الناس من نفسه وحمته ومحابته وصبره على كلامها وترك معاقبتها على كراهتها فلو كان قتلها لكان ذلك من فعله في أمثالها (١) .

وقد علمنا من الخبر السابق أنه في هذا العصر ظهر الفتيان النبوة ، وفي الحق أن الفتوة صارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالنبوية والخليلية والشَّجِينِيَّة والوَلْدِيَّة والرَّهَاصِيَّة ، وكان بعضهم يخطي بعضاً في مبادئهم وأقوالهم وأفعالهم (٢) ، ونجد في أرائل القرن الخامس طائفة منهم ببلاد الشام يعرفون باسم « الأحداث » جمع الحدث وهو الشاب ، وأشهرهم أحداث مدينة حلب ، وقد ساعد الأحداث الحلبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس السكلايين على احتلال حلب سنة ٤١٥ هـ وأسارها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتها يومئذ الطاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقد جعل الأمير صالح أبا الرجبي سالم بن مستفاد الحمداني علام سيف الدولة بن حمدان مقدمهم سنة ٤١٥ هـ (٣) . ثم انتزع الفاطميون حلب من بني مرداس السكلايين ، وفي سنة ٤٣٤ هـ استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث أي الفتيان معز الدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل ثمال قبل القلعة ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث (٤) .

وهكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر ، ويطلبون بالسياسة والرياسة ، ومن ذلك أن المستنصر بالله الفاطمي أنفذ في سنة ٤٤٨ هـ نوابه ليتسلطوا حلب وفيهم مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي فأقام بحلب وعدل في الرعية وأحسن السيرة ورخصت

(١) الاتباع والنزاهة لأبي حيان التوحيدي ٣ : ١٦٠ - ١٦١ هـ .

(٢) مقرة لابن اللبكي في الورقة ١١ هـ .

(٣) زبدة الحلب من تلويح حلب ١ : ٢٢٢ ، ٢٤٩ هـ تأليف ابن النديم الحلي .

(٤) للرحم المذكور ١ : ٢٦١ هـ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الأسماع في أيامه ، وكان الدهر حصد فطلب الأحداث منه مالا فقال لهم « قد أخذتم واجبكم المقرد على السكال وتسلفتم أيضاً فلا تطعموا في وصولتي آخر إليكم » فعمدوا الأحداث وعبروا به وأرسلوا إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، واستقدموه وكان قد حاصر حلب ومعه منو كلاب وقتل الأحداث وغيرهم سبعة أيام ثم رحل عنها عتفاً ، ولما وصل سلموا إليه حلب . وأرسل الفاطميون جيشاً ضخماً من الثغارة بقيادة ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني فهرب الأحداث من حلب وانضموا إلى بني كلاب^(١) ، وكان مسكن الدولة الفاطمي قد تحصن في قلعة حلب لما غدر به الأحداث فنزل منها عند اقتراب الجيش الفاطمي من حلب هرب وأصحابه فنهروا مدينة حلب وقتلوا من وجدوه من الأحداث وعدتهم أربعون حداثاً وقبضوا على مائة وخمسين آخرين وسلبوا في محلات حلب جماعة من القتل الارهاب والارهاب ونهبوا كل موضع جليل فيها من الرامح التي يرمونها وقسريات الوكلاء والتجار وغير ذلك^(٢) . ثم سارت حلب إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي سنة « ٤٥٢ » هـ فحاصره معه معز الدولة شمال بن صالح ، فألقى محمود باب حلب في وجهه ولم يكن قوماً من أحداث حلب فتجهوا شمال باب قنسرين ودخل أصحاب شمال حلب إلى أن وصلوا إلى درب السبات ، فنزل محمود من القلعة إليهم وأخرجهم ولم يقتل منهم أحداً ، وقبض على رعاء الأحداث الذين فتحوا باب قنسرين ومنهم ابن جثون وابن النازلي^(٣) .

ثم جمع الأمير شمال عسكرياً وعاد إلى حلب فحاصرها ودخلها وانهمزم ابن أخيه محمود فأسر شمال أكثر جنوده والأحداث الذين كانوا معه وهم كندي وصبيح وابن الأقرامي والشطيطي والشماد وأصحابهم^(٤) . ثم اصطلح العم وابن أخيه على أن تكون حلب لهم وهو الأمير

(١) للرحم المذكور ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ هـ .

(٢) للرحم المذكور ١ : ٢٧٨ هـ والسكال في حوادث سنة ٤٥٢ هـ .

(٣) ربيعة الحلب ١ : ٢٨٢ هـ .

(٤) للرحم المذكور ١ : ٢٨٣ هـ .

مع الدولة شمال ولما استقر شمال في القلعة نعى من الحلبيين الأحداث القدماء جماعة وضلت معهم خمسة عشر رجلاً ، وبلغه أن قوماً منهم مضوا إلى أنطاكية وكنّوا واليهامى أن يسلموا إليه امرأة مصرين وهي بليدة على نحو من ثلاثين كيلو متراً من حلب ويطرقوه إلى عبرها وقالوا له : « ربحنا في حلب وأصحابنا تحت أوامرنا » . فلما علم ذلك شمال عقيهم وظفر بجماعة منهم فقتلهم وهم ابن أبي الريحان وابن مطر وابن الشاكري وبهلول ، وترك الباقي (١) .

وما أجسد فسحة لأن أذكر من أخبار أحداث حلب وغيرها أكثر من هذا فإن هؤلاء العتيان المعروفين بالأحداث أخباراً كثيرة ، وردت في كتاب « زبدة الخلب من تاريخ حلب » للقاضي الأديب والسفير الأريب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن المديم وكامل ابن الأثير ومرآة الزمان لأبي المطهر يوسف بن قزاعلي المعروف بسط ابن الجوزي وكتاب الروضتين في أخبار الدواتين لأبي شامة عبد الرحمن المقدسي ، ولم أجد من الباحثين المعاصرين من أشار إلى حقيقة هؤلاء الأحداث وذلك مما يفتي على ذكرهم وبيان أوليتهم ، فيكون لهم بحث مستقل وموضوع مفرد (٢) .

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الفتوة العنيفة الميَّارة المائلة مقاومة شديدة من ولاية الأمر والحكام لخلالها بالأمن وإزالتها الاستقرار وانتهابها الأموال وسفكها الدماء المحرمة باسم الدين أو المذهب ، فن رثتها ما جرى سنة ٤٢٤ هـ وما بعدها وقد ظهر ببغداد في العتيان العبادين القائد أبو علي البرجي وحكّره أتباعه من العامة حتى تاروا على خطيب الجمعة بجامع المهدي بن المنصور بالساعة وقالوا له : « إن لم نخطب لأبي علي البرجي فلا نخطب للخليفة ولا لذلك » . قال ابن الأثير : « وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة ، لم يعرض لامرأة ولا لمن

(١) الرشح ١ : ٢٨٧ هـ .

(٢) ومراجع ذلك « مرآة الزمان في حوادث سنة ٤٥٨ هـ » و « ج ٨ من ١٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ هـ »

٢٢٢ ، ٢٣٠ هـ والكامل ٩ : ٨٠ هـ و ١٠ : ٨٨ هـ و ١١ : ٢٨ هـ ومخرج الكروب في أخبار

بي أيوب ١ : ١٥ هـ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٢٧ هـ و « زبدة الخلب ٢ : ٤٥ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١١ هـ »

١٢٧ ، ١٢٩ هـ وكتاب الروضتين ١ : ٣٣ هـ من الطبعة الأولى .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

يستلم إليه ^(١) .

ومزع الباسيون من الفتوة بعد أن علموا أن خالصة الملك ربحان الاسكندري من رجال الدولة العاطمية بمصر ، قد اتخذ المدينة للنورة مقاماً وانتدب رئاسة الفتى في البلدان وكاتب الراغبين في الفتوة وكاتبوه وذلك في الثلث الأخير من القرن الخامس للهجرة ، ومن اتصل بمخالصة الملك هذا من أهل بغداد « عبد القادر العباسي الهاشمي البزار » فقد صار شيخ الفتى وكان يكتب لكل منهم منشوراً ولقب نفسه بكاتب الفتى ، ومن دخل فيها أبو نصر محمد بن عبد الباقي الحجاز المروى ابن الرسول الأديب الكاتب فالف فيها رسالة يذكر فيها مدناها وفنائها وقانونها ، ولعل هذه الرسالة أول كتاب ألف في الفتوة ، وقد جاء فيها قوله :

« الحمد لله معز الفتى والفتوة وحاملها ليرث الإمامة والنبوة ، [الذي جعل] لأهلها أنساباً وسماهم بها أحبباً ، هي حلوة يجدها الحارثون ، ويقف عليها الراغبون ، برغب فيها من عرف معانيها ، ولسمو إلى مراتبها نفس متماطيا ، وما زالت منذ آدم ، ظاهرة مع السلام ، وقام هو بحققها ، فلما انتهت مدته أوصى بها إلى شيث مستعقها ثم انتقلت إلى نوح فصرفها إلى سام ثم ظهرت في الخليل — عليه الصلاة والسلام — [ثم في إسماعيل] فغاز الفضل المصمم ، كما نطق به الكتاب القديم : وعد بناء بدع عظيم . ثم ظهر موسى فيها ما بطن ، ففوض إلى هرون منها أدنى الشئ ، ثم ظهرت في المسيح الأمين ، البشر بسيد المرسلين ^(٢) » .

ودكر كلاماً كثيراً وشرح تقليده للواقفين له على ذلك الأمر وذكر أسماءهم وأسابيهم وما يتعلق بهم في مقدار كراستين . وكان الواقفون له الداخلون في هذه الفتوة « مائة وبنفاً » من الأشراف والأعيان ورعاه البلدان ، وكان ابن الرسول هذا بمقد اجتماعهم في مسجد كراثا يعرف ببغداد وهو مسجد بني علي رواية أن الإمام علي بن أبي طالب لما خرج لقتال الخوارج سبي

(١) الكامل في حوادث ، سنة ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٢) التتظيم ٨ : ٣٢٦ — ٧ ، وصلة الزمان ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦

الورقة ١٧٠ .

مصطفى جواد

في موضع المسجد ودخل حماماً في قرية براتنا^(١) ولما كان من مساجد الشيعة ، وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح ابن الرضوي بابه وقطع الباب القتيق ونصب عليه باباً حديداً ورب في المسجد من بُراعيه ، فلم يه وبأصحابه جماعة من أصحاب أبي القاسم عبد الصمد بن عمر الواعظ الشافعي وكان يتحلقون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحلبون ، فأمكروا فعله وشكوه الى ديوان الخلافة العباسية وعلموا عند الخليفة أمره على سبيل الاستفكار والاستمهجان لا على سبيل الاستحسان وقالوا : إن هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويجهلون ذكر « الفتوة » عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن والباطل : فسكت الوزير عبد الدولة بن جيهن الى الخليفة المقتدي بأمر الله مطاعة بحالهم فصدر أمر الخليفة بالقبض على كاتب الفتيان عبد القادر الحبشي ومحمد بن عبد الباقي بن الرضوي ، فقبض عليهما في ذي الحجة من سنة « ٤٧٣ » وعثر على كتب لابن الرضوي كثيرة منها كتاب كتبه الى خاتمة الملك ربحان الاسكندراني انقدم ذكره ، فاستغلاه الوزير ابن جيهن وسأله عن الداخلين في الفتوة وذكر أسماء دكتها الوزير ، وصدروا الأمر بالبعث عنهم فقبض على جماعة منهم وهرب الباقيون ، واستفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوا باستئصالهم والزمامم الرجوع عن منذهبهم في الفتوة وكفهم عنها ، وجعل شحنة بغداد من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي أي حاكم بغداد المسكري ، التعزيش عن الفتيان دريعة الى الى الشقة أي ابتزاز الأموال بالوسائل الباطلة ، ووضع المسامات المالية عليهم ونهبت دورهم^(٢)

ولكن الفتوة على اختلاف أحزابها وبيوتها وقبائلها لم تستأصل بذلك الكبس ولا بذلك الحس والابتزاز والتشريد ، بدلالة أننا نرى بين أخبار التاريخ أحداثاً لفتوة متقطعة مدومة الصلة ، لأن الفتوة العارمة الظالمة الشاطرة لا تقهر إلا في أيام ضعف الحكام ، من ذلك ظهورها ببغداد ونواحيها سنة « ٥٣٢ » على عهد الخليفة القضي لأمر الله العباسي بمجدد الدولة

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي « براتنا » .

(٢) المرجع المذكور لن سابعاً .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والسطين

العاسية وفي سلطنة السلطان القبيح السيرة السفاك مسعود بن محمد بن مسكشاه السلجوقي ،
والخليفة يومئذ مغلوب على أمره ، ومفكر في استنقاذ الدولة العاسية من استعباد حكامها
القاهريين الطالين ، وكان زعيم الفتیان إذ ذاك ابن بكران العيار ، فمطم أمره واستشرى
فساده وأبدى رعيه آخر يرف ابن البزار ، وأراد أن يضربا سكة بأمانتها ، وكان والي بغداد
يومئذ حسام الشرف أبو الكرم بن محمد الهاشمي ، فأمر ابن أحبه أبو القاسم حامي محلة باب الأزج
ومنها اليوم باب الشيخ عبد القادر الكيلاني أمره أن يأخذ الفتوة لنفسه من يدي ابن
بكران ويكون من أتباعه الفتیان ليأمن شره ، ففعل أبو القاسم ، ثم احتال الوالي على ابن بكران
وابن البزار فقتلها (١) . وفي سنة « ٥٦٣ » استفحل شر الفتیان العيارين واحتمت كل جماعة
منهم بأمر من أمراء الدولة السلجوقية أو ابن وزير أو كبير فأخذوا أموال الناس ظاهراً ،
وكان يكبسون الدور بالليل وبأيديهم السموع ويدخلون الحانات وقت السحر فيسأخذون
ثياب المستحمين ، ويدخلون الحانات ويهددون أصحابها بالأحراق وقتلوا جماعة من رجال
الشرطة حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب ، ورتب السيارون لأنفسهم
جواسيس على الناس يدلونهم على أصحاب الأموال ، وأغلق الناس دكاكينهم وخاناتهم وكسروا
متابر الجوامع احتجاجاً على احتلال الأمن وأغلقوا أبواب الجوامع وعزل الوالي أبو الكرم
الهاشمي نفسه وحلق رأسه ونصوفاً وأقام في بعض الخانات أي « الرُبَط » ، فأجروه ثانية
على ولاية أمر الأمن ببغداد (٢) .

وقد رأى ابن جبير الرحالة الأندلسي في سنة ٥٧٩ جماعة من الفتیان الدورية المنصبين على
الرافضة قال في وصف بلاد الشام : « ولشيمة في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من
السيين بها وقد غمروا البلاد بمنابهم وهم فرق شتى منهم الرافضة ... وسلط الله على هذه
الرافضة طائفة تعرف بالنبوية (وهم) سيون يديشون بالفتوة وبأمر الرجولة كلها وكل من

(١) الكامل في حوادث سنة ٥٣٢ : ١١ : ٤٦٥ .

(٢) الكامل في حوادث سنة ٥٣١ : ٤٦٥ .

أحقوه بهم لحصلة يرونها فيه منها يحزموه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون أن يستعدي أحد منهم في نارلة نزل بهم ، لهم في تلك مذاهب عجبية ، وإذا أفسم أحدهم بالفتوة أبر قسمه ، وهم يقتلون هؤلاء الرعاص أينا وجدوهم ، وشأنهم عجيب في الآفة والاختلاف ^(١) .

هكذا كانت حال الفتيان النبوية في بلاد الشام وقد ذكرنا من أحزاب الفتوة الخليلية ولعلها منسوبة إلى حليل الرحمن إبراهيم - ع - والرهاسية وهي منسوبة إلى عمر الرهاص والشعبية والولادية ، قال ابن العار الحنلي : « وكل منهم ذهب إلى رأي ، ولقد كانوا يحكمون بطلان من لم يحاضروه ، وإنما يقتلون ما يقتلون عنهم إسكاراً ، فلما لم يقضوا في الفتوة بأحكامها ولم يقضوا فيها أئمة السلف الصالح ولم يسيجروا على منوالهم كثر الاختلاف بينهم ... فلما انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - أنعم نظره التام ونجسه الكامل في النسب فاختار كبيراً في الفتوة (هو) الشيخ العابد الصالح السعيد عبد الجبار بن صالح البندادي - رحمة الله عليه - لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والطريقة وانتقلت إليه - صلوات الله عليه - من الشيخ عبد الجبار ^(٢) . . . » .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله أبا المباس أحمد بن الحسن السطفي بأمر الله ، لما رأى ما عليه العالم الإسلامي من التشتت والصحف والاختلاف ، والانحراف والتعادي ، والتماذي هي التنازع وإثارة الشر بينهم ، واختداد قوة الأفرنج المروء بالصلبيين وتعصكهم في طراز البحر الرومي المعروف بالبحر الأبيض المتوسط ، وتقوي دويلاتهم وتقصصهم للبلاد الإسلامية الإسلامية شيئاً فشيئاً أمر الدول الإسلامية بتأييد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولو لا ذلك ما استطاع صلاح الدين اجتياح بلاد الأفرنج التي احتلها من بلاد الشام ولا الثبات بأرائهم ، ولذا فزع صلاح الدين بيت القدس سنة ٥٨٣ أرسل إليه الخليفة الناصر بلوح مكتوب عليه كنية لبياقه على باب المدينة فسلقه وهذا نص الكتاب :

(١) رحلة ابن حجر ٢٨٠ طعة بريل .

(٢) كتاب الفتوة لابن العار ط الورقة ١٠ ، ١١ من النسخة المتقدمة ذكرها .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . الحمد لله الذي أجز وعده ، ونصر وعده ، وأقام حليفته القائم بحق الله ، وسيد عترة رسول الله ونخبة شجرته الطيبة المعروفة إليه أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين - أسبغ الله ظله على الاسلام والمسلمين ، وسدَّ عسده بولده وولي عهده أبي نصر محمد عترة الدنيا والدين ، وأعاد إليه كرامته ، وأصار إليه ميراثه ، من البيت المقدس على رغم ألف المشركين ، أجرى هذا الفتح على يد محيي دولته وسيف نصرته والقائم بعبادته ، والمخلص في عبوديته ، والمجاهد تحت رايته يوسف بن أيوب معين أمير المؤمنين » (١) .

ورأى الناصر أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته ، وإحياء همته وإعادة اتحاد وتوحيد منجمه ، مقاومة الاقربح الصليبيين من الغرب والكُرج من الشمال ، والسلجوقيين وأتباعهم من الشرق ، والمحافظة على استقلال البلاد الاسلامية ، فعمد إلى الفتوة وفيها أعظم قوة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيمًا عظيمًا ، فاستعملها الناصر وورث في الدول الاسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً كامل فضائل النفس وفضائل البدن ، كالعروسية والعلم بالحرب والقتال ، والسياسة والري والراعاة ، وابتدأ ذلك بساوك الطربق الشروع فأخذ فتوته من الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح الهندادي رئيس العتيان في زمانه ، قال القاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم القهطاني الحمدي الحموي الشافعي في تاريخه الظهري المحفوظة نسخة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية : « وفي سنة ٥٧٨ هـ حضر الامام الناصر لدين الله الشيخ عبد الجبار صاحب الفتوة وسأله أن يلبس سراويل الفتوة فألبسه إياها وشرب لعبد الجبار ماء الفتوة وأعطاه خمسمائة دينار وخلع على ولده شمس الدين علي ، وكان عبد الجبار هذا شيخاً حسناً له أتباع كثيرون ، ثم تفتى إلى الناصر لدين الله خلق من المذرك والآكابر ، وكان هذا الفعل (أي الفتوة) يستحث الناس على التضامن والتناصر وحفظ المهد وكتان السر وصدق الهجة والمقة عن الحارم . وأرباب الفتوة يسندونها

(١) خلاصة الذهب السيوك لعبد الرحمن الإريلي د س ٢٠٨ .

بالعنة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — وتاهيك بذلك شرقاً وغرباً وعظمة وقدرأ « (١) .

وقال نور الدين علي بن أحمد البخاري الحنفي في كلامه على قبر سلطان الفتوة في زمانه علاه الدين المؤسس المتوفى سنة ٨٣٢ هـ : « كان ابتداء هذا الأمر — أعني الفتوة — في سنة ثمان وسبعين وخمسة وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله حسنوا له أن يكون فقي، وأحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح ، له أتباع كثيرة ومعه ولده شمس الدين [علي] فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين علي وصهره يوسف المقاب وندمان الخليفة وأبوس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله — سراويل الفتوة وأحبره أنه ليسها من شيخ شيخ وشم ثم إلى علي بن أبي طساب — رضي الله — عنه « (٢) .

قال ابن المهار الحنبلي : « فمئذ ذلك طفق الناس فملاؤهم وبها العلم مهرعين الى التشريف بالإنهاء إليه — صلات الله عليه — لما انصف به من الأخلاق النبوية ، والخلال الطاهرة الزكية ، حتى استرق بجموده أهل البلاد ، وأشرب حبه في قلوب المباد ، وسلكوا الى تشريفه فجاجاً ، ودخلوا في حزبه أفراجاً ، متمنا الله بدوام دولته ، بمعهد وعثرته « (٣) . هذا قول ابن المهار الحنبلي في كتابه « الفتوة » الذي ألفه باسم الناصر لدين الله .

وقال إلياس بن أحمد النقاش في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلدان وسبوكهم طريق الفضالة وإمارتهم العنق وإيمانهم البسوع وارثكهم القوب وسبلهم الى المجادلة والمكابرة ، قال : « الى أن شرف الله تعالى الفتوة وكرمها وأعلى منارها وعظمتها بسيدنا ومولانا الشجرة الامامية والدوحة النبوية والسلالة المباسية وخليفة [الثريصة] الربانية إمام المؤمنين

(١) التاريخ الطبري « الورقة ٢١٢ تحت الأرقام ١٢٩٢ ب ، ع .

(٢) عفة الأحكام وبيبة الطلاب « من ١٧ طبعة مصر سنة ١٩٣٧ هـ دنا عليه الأستاذ المحقق .

(٣) كتاب الفتوة « الورقة ١٣ ع .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وخليفة رب العالمين الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إمام المشرق والمغرب لا إمام للمسلمين سواء ، ولا قبله للدين إلا إياه ، صلى الله عليه وعلى آله وذريته فشييد بنيانها ، ومهد أركانها وألف أحزابها ، وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها » (١) .

وقد كان الناصر أهلاً لا كثر من هذا المدح وذلك لتوحيد العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد وإعادة تراثهم عرم بعد ضياع وافتقاد ، وهذا أبو الحسن علي بن أبي بكر المهردي المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ يقول في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » : « فوق ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب وكان الواجب أن ننشد بذكر مدينة السلام — حرمها الله تعالى — إمامها إمام المسلمين وخليفة الموحدين وأمير المؤمنين وابن عم سيد الرسلين الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ... الذي رفع الظلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله وهرم الشريعة وأظهر المصيبة ، وفقه الله لمعانيه ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته بمحمد وآله وعترته ... » (٢) .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدد بالفتوة شباب الأمة ووحدها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز المالي للسياسة في الشرق والغرب ، حتى إن أحد أمراء المانبة كتب إليه كتاباً يطلب فيه الدخول في فتوته كما ذكرت جريدة « Le Debat » الفرنسية (٣) .

ثم رأى الناصر لدين الله أن نزاعاً يحدث آونة بين أحزاب العتيان فيحدث مشلاً في الأمة وضعفاً ، فصلاً عن إخلاله بالأمن وتأديبه الى سفك الدماء فأصدر في سنة « ٦٠٤ هـ » منشوراً بإبطال جميع الفتوة القديمة وإثبات فتوته وحدها ، وجعله مرجع الفتوة الأعلى وإمامها الأعلى

(١) فتوة الناس النقاش ١ ، ٢ من نسخة استانبول المطبوعة .

(٢) كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ١ من ٢ ، طبعة حزين سورديلي بدمشق .

(٣) La Tradition Chevaleresque des Arabes par Wacyf Botros P. 25 id Paris 1919

قال تاج الدين علي بن آجوب المعروف بابن الساعي النسيدي في حوادث سنة « ٦٠٤ هـ »
المذكورة :

ذكر نقل الفتوة وما تحدد منها : في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة وحمل أمير المؤمنين
الناصر لدين الله - رضي الله عنه - القبة في ذلك والرجوع إليه فيه ، وكان هو قد شرف
عبد الجبار بالفتوة إليه - وكان شيخاً متهماً - فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام ،
وسأل ملوك الأعراف الفتوة ، فهدأ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة
الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الأسافر والأكابر (١) .

وفي اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر حسوماً بقرار قواعد الفتوة
وأن الحدود الشرعية لا تسقط بالفتوة ، فمن قتل النفس المحرم قتلها قتل بهمد أن تخرج منه
سراويل الفتوة ، ومن أدى مجرمًا محقق ولمن ملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « من آوى
محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » (٢) .

وفي سابع عشر رجب من السنة المذكورة أحضر إلى باب البدرية من أبواب دار الخلافة
المباسبية ببغداد فتيان من الفتيان كما قد اشتركا في قتل رجل ، فخرجت منها سراويلات الفتوة
وقُتلوا نوسيطاً أي قطعاً بالسيف نصفين قصاصاً لما لفتلها النفس المحرمة وأخرجت حشيتها فألقيت
على باب البدرية ، فارتدع بها أمثالها وانحسرت مدة النزاع والعناد والقتل وانكف الموام من
نظامهم (٣) .

ومن لس سراويل الفتوة لناصر لدين الله من ملوك الأطراف الملك الماحل أبو بكر محمد بن
أيوب الأيوبي ملك مصر والشام يومئذ وأبنائه : الملك الكامل محمد والملك المنظم عيسى والملك
الأشرف موسى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد بن يحيى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي

(١) الخاتم المختصر ومحوان التواريخ وعيون السمر ٩٥ : ٧٢٦ .

(٢) الترجيع للذكور ٢٢٢ - ٢٢٥ .

(٣) الترجيع للذكور (ص ٢٢٨) .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والصلبين

ملك حماة والملك الغالب عز الدين كيكافوس بن كيخسرو السلجوقي ملك بلاد الروم أي تركية ،
وشهاب الدين محمد بن سلام التنوخي ملك النور أي أفغانستان الحالية وما حولها من الهند ،
والملك الطاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ملك حلب وما حولها وملك شيراز سمد بن رستي
ومصاحب جزيرة كيش في الخليج الفارسي وغيرهم ^(١) . قال أبو الفداء في حوادث
سنة ٦٠٧ هـ :

« وفي هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له
كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وأن يتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه ^(٢) » .
وقال ابن الأثير في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله : « فبطلت الفتوة في البلاد جميعها
إلا من لبس منه السراويل ورمى له ، فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وأدعوا له
في البندق ووصل رسوله إل حماة في أيام الملك المنصور [محمد بن عمر الأيوبي] صاحب حماة
وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكاره ، فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله من
واصل الحوري بعمل خطبة في الفتوة ، فعمل خطبة بديعة في هذا المعنى واستشهد بآيات من
القرآن العزيز منها قوله تعالى : سمعنا فحيّ بذكرهم . ومنها قوله تعالى . إذ أوى الفتية إلى
الكهف . وغير ذلك من الأخبار والآثار . فقرئت هذه الخطبة بحضور الملك المنصور والأكاره ،
وكان قاضي حماة في ذلك الزمان القاضي برهان الدين أبو البصر بن موهوب ، فأمره الملك
المنصور بلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسها الجماعة ^(٣) » .

وقال تقي الدين المقرئ في حوادث سنة ٦٠٧ هـ : « وفيها شرب ملوك الأطراف كأس

(١) سكت المبيان في سكت المبيان ٥ ص ٩٣ . والبلوك لمرقة دول الملوك ٥ ١ : ١٢٧ ، وديل
الروحيين ٥ ص ٦٩ ، والمختصر في أخبار البشر ٥ ٣ : ١١٩ طبعة استانبول . وتطعيم مجمع الألقاب
لأن الدولة ٥ ج ٤ ص ٣٨٤ من نسختي المطبعة .

(٢) المختصر في أخبار البشر ٥ ٣ : ١١٩ .

(٣) تاريخ ابن القرات ٥ الحجة الأسبوعية مج ٦ ص ٢٨٥ من ١٨٥٨ هـ ، والفتوة والمقدمة لناصر ،
المستشرق الألماني فرانز ريشتر في « المنقح من دراسات للشرقيين ١ : ١٦٤ » وهي في التاريخ أوسع .

الفتوة للخليفة الناصر لدين الله اختتمت كل رعية إلى ملكها . ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قساة مملكته وقضاةها وأمرائها وأكابرها وألبس كلهم له وسقاء كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مفرماً بهذا الأمر . وأمر الملوك أيضاً أن تنسب إليه في رمي البندق وتحملة قدونها فيه ^(١) . وقد ذكرنا قبل هنا شمس الدين بن البعلبكي قاضي العتيان الذي بعث إلى مصر ليُسقي الملك الكامل للناصر لدين الله بالوكالة .

وفهم مما قلنا من الأخبار أن الفتيان كانوا يتماطلون الرمي بقوس البندوس وهي التي تعاونت بعد شيوخ استعمال البارود فنشأت منها البندقية ، وأن الناصر لدين الله أمر الملوك أن ينتسبوا إليه في الرمي ويحملوه إمامهم ، وقد سنّف الناصر لدين الله الطيور التي تُصاد بحسب قانون الفتوة أربعة عشر صنفاً وسمّاها « الطير الجليل » ونسب طير الواجب أيضاً وهي : النسر والمقاب والفلخ واللقاق ويسمى السبيطر أيضاً والمماز والرزم والتمّ والمرنوق والانيسة والسكري والبجع ويسمى السكي والحبرج وهو الحبارى والصوغ والاوز ^(٢) . وقد ألف الشيخ العالم الفقيه الشافعي محمد بن إسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الشافعي مريد المدرسة النظامية كتاباً في أحكام صيد الطير الجليل سماه « القترح في المصطلح » قال في أوله : بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد حاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى واسطة المقدم ، ومالك الحل والمقد ، والوئيد باتباع الحق ، والسدد بكلمة الصدق ، والتخلق بأخلاق الله الناصر لدين الله ، بلغه [الله] من الآمال كل النهاية ومن المز والكرامة وأنصى الماية « إلى أن يقول » وبعد فأقول إنه قد استوجب علي حقاً أن أجمع في طريقة البندق مختصراً حاوياً لا تفرق من أحكامه ومسائله ، وأبين كيفية استعماله وأحواله عن أوائله وأن أجمل لها القواعد الشرعية ، كالضابط والمرد ، والأمول الفقهية دعامة في القبول والرد ^(٣) ... »

(١) السلوك ١ : ١٧٢ .

(٢) القترح في المصطلح لابن ودعة . نسخة دار الكتب الوطنية بلطيس الورقة ١٠ .

(٣) القترح في المصطلح . نسخة دار الكتب الوطنية بلطيس ، الورقة ٤ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وقد انتقد بعض المؤرخين على الإمام الناصر لدين الله عنايةه بالفتوة ولم يوفق للعصوات في ثقله ، لأن الناصر كان قد وحد الأمة الإسلامية ، وأحيا عز العرب وناموسهم بمساعيه وأعماله ومنها تجديد الفتوة ، وأعاد إلى العرب استقلالهم للسلوب وإلى الإسلام قوته وبهجته ، وبث نظرة الربى للأمم الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، والأمة العربية في مواطنها زهاء نصف قرن من الزمان يختلف ، بالمعاهدة ، عن نظر مؤرخ محدود الفكر ضئيل الهمة متأثر بالحوادث الشخصية ، والأمور السياسية في عصره . وفي الحق أن خلافة الناصر التي دامت سبعاً وأربعين سنة ، وفتوته البارعة وجمعه كلة الأمة وتدريبها على أنواع الرياضة البدنية لبناء أجسام قوية ، وعلى استعمال أنواع السلاح لاعداد جيوش قاهرة وتربية جيل حديد شجاع مدرب على القتال والقراع كانت من أسباب المنصر والاعتزاز عند العرب والمسلمين . وكان من نتائج الفتوة توحيد الجيوش الإسلامية (١) .

واتبع الخلفاء العباسيون الذين جاؤا بعد الناصر لدين الله أثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية العتيان في البلاد الإسلامية ، على اختلافهم في الحماسة لها ، بالإضافة إلى ميل أنفسهم إليها ، فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع أن نقين به مقدار عناية بها ، فإنه توفي سنة « ٦٢٣ هـ » ودامت خلافته من أول شعبان سنة « ٦٢٢ هـ » إلى الرابع عشر من رجب سنة « ٦٢٣ هـ » (٢) . وسيأتي أنه نفى من أبيه (ص ٧٣) واستخلف بعده ابنه منصور المستنصر بالله وكانت عنايةه بالفتوة كبيرة مستدامة ، قال بروكلمان : « وكان قد أعاقب على عرش بغداد بعد وفاة الناصر الخليفة الحازم ذي الهمة المالية سنة ١٢٢٥ م خلفاء مستضعفون » (٣) . وكان مولد المستنصر سنة « ٥٨٨ هـ » في السنة الثالثة عشرة من خلافة حده الناصر لدين الله ، قال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان جدُّه الناصر يقرّ به ويسميه القاضي

(١) راجع مثلاً ذلك في النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة ٦ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) الكلل في حوادث سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٣ .

(٣) تاريخ التتوب الإسلامية ٢ : ٢٧١ من الترجمة العربية .

لهدية وعقده وإراكار ما يجده من النكر^(١) . وقال ابن النجار : « نشر المدل في الرهايا ، وبدل الامعات في التمنيا ، وغرب أهل العلم والدين وبنى الساجد والربط والندارس والمارستانات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمردة وشر المُنْتَن ، وكف العن ، وحمل الناس على أقوم سَسَن ، وفام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لمصرة الاسلام ، وحفظ الثور وانتفع الحصون^(٢) » . ومن آثاره المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، ولا يزال أكثرها قائماً شاهداً بالفضيلة والصفحة وغرامه بعلوم الدين والعاب .

وأراد المستنصر أن يرتفع الى سند عال في الفتوة ، فحسن له جلال الدين عبد الله بن المختار الطوسي السكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتى بحوار ذلك ، فتوجه المستنصر الى مشهد علي بالهاتف ولبس السراويل عند الفريخ ، وكان جلال الدين بن المختار هو الغيب في ذلك^(٣) .

وكان المستنصر يُفْتِي الملوك والأعيان بطريفة الوكالة ، ففي سنة « ٦٢٦ هـ » أنفذ نفر الدين أبا طالب أحمد بن الدامغاني والشهيد شيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوبزني بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه ، وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ، وأرسل اليه معهم بتشريفات وكراخ ولباس الفتوة ، وكل الخليفة فخر الدين بن الدامغاني في تفتيته من الخليفة وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن تقيب الفتوة ، وكان ذلك بموجب سؤاله

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ١٧٢ طبعة الهند » .

(٢) المرجع المذكور « ص ١٧٢ » .

(٣) اعزاد الذي سبيله الموائد الجامعة وليس به « ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ » . قال المؤلف : « كان

جلال الدين عريق النسب كبير القدر أدبياً نصيحاً ، حفظ القرآن في نيف وعشرين يوماً ... وكان يحضر عند الخليفة المحاصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتي فيه ويرجع الى قوله ، ولم يزل على تلك الى أيام الخليفة المنصور لله فأعشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي ع - وأفتى بحوار ذلك ... » وذكر أنه توفي سنة « ٦٤٩ هـ » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

ووصول رسول منه يطلبه فدخلوا عليه خلة الخليفة المستنصر بالله وألوه سراويل الفتوة (١).

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » في خامس صفر منها قدم نور الدين أرسلان (٢) شاه بن عماد الدين ابن ربي صاحب شهرزور هلقاء موكب الديوان ورفق قدره وحلم عليه ، وأسكن بدار النقيب الطاهر ممد الموسوي بالفتوة ، واستدعي في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور إلى البدرية من مواضع دار الخلافة فحضر عند شرف الدين إقبال الحبشي الشرايبي مقدم الجيوش يومئذ فشرّفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله وخلع عليه (٣).

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » أيضاً حضر الشيخ عبد الله الشرماسي مدرس المالكية بالدرسة المستنصرية ، بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرايبي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله (٤).

وفي سنة « ٦٣٧ هـ » هرب من المراق قطب الدين سنجر المعروف باليامر المستنصري أحد أمراء الجيش العباسي وفي صحبته جماعة من المهالك فلقبه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به إلى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام إلى البدرية وخلع عليه وشرف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع إلى مستقره (٥).

وكان سقوط الدولة العباسية سنة « ٦٥٦ هـ » ركوداً لأمر الفتوة في بغداد والمراق ، ثم ظهرت الدولة العباسية الممورية في مصر فظهرت معها الفتوة ، ففي سنة « ٦٥٩ هـ » في يوم عيد الفطر ركب السلطان الملك الطاهر بيبرس البندقداري ملك مصر والشام مع الخليفة المستنصر بالله الثاني تحت المظلة وصلياً صلاة العيد ظاهر القاهرة وحضر الخليفة خيمة السلطان

(١) الخواص ص ١٢ ، ١١

(٢) في معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي لرماسور ص ٣٤٣ ، أنه ابن عمر بن محمود الثاني بن نور الدين أرسلان الأول . ولعل ذلك خطأ .

(٣) الخواص ص ٨٨ ، ٨٩

(٤) الخواص ص ٩٠ ، ٩١

(٥) الخواص ص ٩٣٠

بالمثلة وألسه سراويل الفتوة بمحضرة الأكاير^(١) . وقد أوضح المفضل بن أبي الفصائل حرر
التعنية هنا بأن قال : « ثم تجهز السلطان بغيرس إلى الشام في تاسع عشر رمضان ورغب في
لباس الفتوة فألسه الخليفة قبل سفره ، ونسبة الفتوة من الامام علي بن أبي طالب - كرم الله
وجهه^(٢) .. » .

وفي سنة « ٦٦١ هـ » في ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان مثل الملك الظاهر بغيرس الخليفة
الحاكم بأمر الله المباسي : هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته المباسيين الظاهريين أو من
أوليائهم المتقين ؟ فقال : لا . والنس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن
السلطان إلا طاعته الفخرية ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه - رضي - افترضه ، ولبس الخليفة في
الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وبأثر اللبس^(٣) الأتابك فارس الدين
أقطاي بطريق الوكالة من السلطان ، بحق لبسه من الامام المستنصر بالله [الثاني] أمير المؤمنين
ولد الامام الظاهر ، وأبوه لجدته الناصر لدين الله والناصر لمبدأ الجبار ... لسلطان الفارسي للامام
الظاهر الثاني علي بن أبي طالب - رضي - وحمل السلطان إلى الخليفة من اللباس لأجل ذلك
بليق بجلاله^(٤) .

وهذا يدل على رواج أمر الفتوة في عصر المماليك بمصر والشام واستمرار قوتها منذ أيام
الأيوبيين إلى ما بعدها من المصور ، وكان أمرها على العكس في العراق لأنها من رسوم
المباسيين وآيينهم ، وفي بعضها ما يشير الفتح ، ففي سنة « ٦٨٦ هـ » من حكم السلطان أرغون بن
أنغا بن هولاكو كثر اهتمام عوام بغداد بقتل السباع ، كما جرت عادة الفتيان ، وجرى بينهم
عن كثيرة وحروب بين أهل المجال فأسكر الديوان ذلك وتقدم باحراق السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا

(١) السلوك للقرنزي ١ : ٤٥٩ .

(٢) النهج المسديد ١ من ٨١ ، ٨٥ . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٢٥ الورقة ٧ .

ومفرح السكروم نسخة المجالس المذكورة ١٧٠٢ الورقة ١١٢ .

(٣) القسواب « الألبس » لأنه ألوه سراويل الفتوة .

(٤) السلوك ١ : ٤٩٥ - ٤٩٧ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

بعد ذلك من الخروج لقتل السباع^(١) .

وكان أمثال هؤلاء ينعم عليهم بشيء من البر عندما يؤذن لهم في الخروج لقتل السباع أيام الخلفاء ، قال بعض المؤرخين في حوادث سنة ١٤٠ هـ : « سأل جماعة من شبان أهل أن يؤذن لهم في الخروج إلى قتل السباع ، فاذن لهم جرياً على المادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله وأُعم عليهم بشيء من البر فاجتمع من كل محلة حرق وخرجوا بمئاتهم في حدود البلد [بنداد] وبين يدي كل جوق اللصابة بالدقوف والزمور والفسافي وسائر الملاهي^(٢) ... » ثم حدثت فتنة بينهم استوجبت إرسال الجند إليهم وقمعهم .

وانتشرت الفكرة في بلاد الروم المعروفة بالأناضول وآسية الصغرى منذ أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المشهور القتيان « الأخية » وذكر طاداتهم^(٣) . وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « قونية » مثلاً أنه نزل منها بزاوية قاضيها المعروف بابن قلمشاه وهو من القتيان وروايته من أعظم الروايات وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — ولناسها عندهم السرارويل كما تنسب الصوفية الحرقه^(٤) وفي الخبر ما يشعر بتطورها إلى فتوة الأصناف .

وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « أصفهان » فتوة طينيات وأصفان في الثالث الأول من القرن الثامن للهجرة ، قال : « وفي أهل أصفهان كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الأطنسة ، تؤثر عنهم فيه أخبار عربية ... وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم ككبراً منهم يسمونه (الكاو) وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعة ، وتكون الجماعة من الشبان

(١) الحوادث ٤٥٣ هـ .

(٢) الحوادث ١٧٥ هـ ، وتراجع أمثال هذه الحوادث في الخاتم المختصر ومسوان النوايح وعيون السمر ١٤٦٦ هـ ، ١٤٨ هـ ونحوه من كتب التاريخ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٨١ : ١٨٧ من طعة مصر .

(٤) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٨٧ هـ .

الأعراب وتعاخر تلك الجملات^(١). ونحن وإن لم نجد في الخبر اسم الفتيان فقد رأينا واضح الدلالة على أصنافهم وأوصافهم، وقد قمنا بشروع الفتوة بمصر في القرن التاسع للهجرة «ص ٤٦٥» ويؤيد هذا التطور كتاب الفتوة الشائع المتأخر الزمان المبدد النسخ في خزائن كتب المالين، وفي آخر نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الأرقام ١٣٧٧ في الورقة (٣٨) ما هذا منه «تم بمون الله وحسن توفيقه في آخر شعبان يوم السبت عند الغروب سنة ١١٩٥ هـ. وهذا التاريخ يدل على أن تطور الفتوة إلى الأصناف حدث قبل نهاية القرن الحادي عشر للهجرة، قال مؤلف هذه الفتوة :

«بسم الله الرحمن الرحيم، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى جنان النعيم، إنه ثواب كريم، غفور رحيم. الحمد لله الذي جعل الفتوة لباس التقوى وخلاصة الأنبياء وسلوك فيها من احتضن من عباده الأولياء والأصفياء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد الأصفياء محمد المصطفى وابن عمه علي المرتضى وعلي آلهم وأصحابه وآل بيته الأتقياء. أما بعد فقد روي عن السيد محمد بن السيد علاء الدين بن الرضي — عفا الله تعالى عنه — أنه مصنف هذه الفتوة ومعرفة هذه الطرائق والحقائق وأركان الشريعة.»

«واعلم يا طالب الفتوة وسلوك الطريق — هداية الله إلى مواقيت السائرين، وأوصالته إلى منازل الواصدين — واعلم أن أركان الفتوة والشد (كما) لا تنهاون أن أركان الفتوة بأخذ المقرض وبأخذ المهد ويتوب، وشرط الشد أن يوفي حوائج الله تعالى واعلم يا طالب الفتوة والشد لا تنهاون في بساط الشد وأن تطبخ الخلابة وتفرقها بين الحاضرين في الشد سواء وتدور بها من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان، وإذا سلمها كيف يسلمها وإنا أخذها كيف بأخذها من حاملها وأهل الخليل كيف يلقيهم بعضهم بعضا وإذا طالب أحد حقاً كيف يأخذه وإذا صار يخطئ من الطريق يقف عند صف الشمال ...»^(٢)

(١) الرسالة المذكورة ص ١٢٥ هـ.

(٢) الفتوة ص ١٣٧٧ الورقة ٢٦٦ هـ.

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

ثم ذكر الأئمة والأعيان الذين ينتسب إليهم فتيان ذلك الزمان على حسب أصدافهم وذلك في أثناء الكلام على شد الفتوة في أيام النبوة قال : « وعام علي في الحال شد سبعة عشر رجلاً من أصحابه أو لهم سلطان الفارسي ، شدة وأجازه ، وكان في خدمة النبي - ص - وكان حلاقاً وعاش من العمر ثلاثمائة سنة وهو مدفون في الدائن^(١) . الثاني : عمر بن أمية الضمري ، شدة وأجازه ، وجميع السعاة والشعائر تنسب إليه وهو مدفون بحمص . الثالث : بلال الحبشي ، شدة وأجازه وجميع المؤذنين تنسب إليه وهو مدفون في دمشق . الرابع : بريدة الأسدي ، شدة وأجازه وكان يحمل سنجق النبي - ص - وكل من يحمل سنجقاً ينسب إليه ، وهو مدفون في تمران^(٢) وراح شهيداً . الخامس : ذو النون المصري شدة وأجازه وبمته إلى سلطان مصر الموقر يسدعه إلى الإسلام فحبته وآمن برسالة محمد - ص - وكان ذو النون ماهراً في علم الطب وجميع الأطباء والجراحية تنسب إليه وهو مدفون بمصر . السادس : سهيل الرومي ، شدة وأجازه وجميع المشايخ الأحياء (وفي نسخة وسلسلة النخاوي) تنسب إليه وهو مدفون في حوران . السابع : حسن البصري^(٣) ، شدة وأجازه وجميع المشايخ تنسب إليه وهو مدفون ببخارى وعاش مائة وسبعين سنة . الثامن : قنبر علي ، شدة وأجازه وجميع السياس (أي السواس) تنسب إليه وهو مدفون ببغداد^(٤) ومات شهيداً عن يد الحجاج - عليه من الله ما يستحق - .

(١) عرفت اليوم ببلدان تلك أي سلطان الظاهر ، والملاحين عبد يرودون فيه سلطان الفارسي في كل سنة ويصل قلوبهم كثير من أهل اللهو والبطالة والفلأسي .

(٢) اسم جبل قيل إنه بأكناف الربيعة وقيل حمص ، ومعجم البلدان .

(٣) ذو النون لم يكن من الصحابة ولا من التابعين ، ولكن حيان ذلك الزمان يسمون من لهم بالحناف .

(٤) الحسن البصري من التابعين ولم يكن من الصحابة ، ويحور نسبة شد علي له عتلاً لا فلا لأنهم لم ثبت تاريخاً .

(٥) نسب إليه فر يمداد في علة نسب إليه تعرف بمحلة قبر علي ، وهي آخر محلة خراج ابن رزيق في أيام العباسيين ، وكان في هذه المحلة نربة بني شهر الكبراء الوزراء ، منها قبر عميد الدولة محمد بن محمد بن جعفر وجماعة من ولده . للتبليغ ٩ : ١١٨ ، ١١٩ ، وتلخيص معجم الألقاب ٢ : ١٤٧ ، ثم دس بها ٣٠

مسطفي جواد

وعاش من العمر تسعين سنة . التاسع : كيل بن زياد ، شدة وأجازة ، وجميع الصنفين تنسب إليه وراح شهيداً من يد الحجاج لأنه كان يقتل الناس بغير حق وهو مدفون بالكوفة .
 العاشر : عبيد الله بن عباس ، شدة وأجازة وجميع المفسرين تنسب إليه . الحادي عشر : السدري نجي ، شدة وأجازة وجميع البهالوين (جمع البهلوان) والامارة تنسب إليه لأنه كان بهلوان عصره عند الامام علي ، وأعطاه الامارة وعاش مائتي سنة وهو مدفون بالكوفة . الثاني عشر : جومرد القصاب ، شدة وأجازة وجميع القضاة تنسب إليه وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بمسدد . الثاني عشر : أبو قرة الفخاري ، شدة وأجازة ، وجميع البراذعية تنسب إليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في حصن منصور . الرابع عشر : أبو الدرداء العامري ، شدة وأجازة وأعطاه إجازة بأخذ المهدي على الفقراء وكل شيخ وكل فقير ينسب إليه وعاش مائتين وثلاثين سنة وهو مدفون بمسدد بمكة . الخامس عشر : أبو عبيدة الحرزي (كذا) ، شدة وأجازة وكان رئيساً في الأنصار وكل من كان رئيساً ينسب إليه وعاش مائة وتسعين سنة وهو مدفون في الحرزي . السادس عشر : أبو النصر عبد الله ، شدة وأجازة ، وجميع الحياك

== جهم بن عبد الله بن الحسين بن سهر سنة ست مائة للهجرة . التلخيص المذكور : ٢٣٠ هـ وعن دهن فيها سبط ابن جهم أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الرضوي سنة أربع وأربعين وخمسة . اس الديني ، نسخة الجميع ، الورقة ١٥٣ هـ وابن النجار ، نسخة فارس ٢١ هـ . ومن عجب التفرع أي في هذه القصة (ان شاء منصور بن ريس) سنة ٨٧٤ هـ بعد أن خرجت جثة في القبر فأكملها السكاب . التاريخ البياتي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ هـ . وذكر هنا القبر سماء الدين عيسى البندنيجي في ترجمته . جامع الأنوار في مناقب الأخيار ص ٣٧٨ هـ . قال : « ومهم قبر علي - ك - على المؤلف ما ترجمته أنه مولى علي - ك - . ومده ما تناق أهل العراق في حداثته في الموضع الذي يزار الآن . قال وعرف بحلة قبر علي ولكن أكثر الناس على أنه استشهد بقتل الحجاج بن يوسف ودق في واسط » . وذكره السيد في المشتق في رحلته إلى مسدد سنة ١١٣٩ هـ . قال : « وأتينا حصة الصديق الأوجده فاسدين تمكية رفيع للرقدة فلما وصلنا إلى رياره سيدي فمردم ركاب سيدي الآخر ... قرأنا القامحة وكنا زرعنا غير هذه المرة الناجحة » . الورقة ٢٥٦ هـ وفي مساحت عريفة للمعنى بخط ميسر كيس ١ : ٣٢٤ هـ أنه ورد في حوادث سنة ١٠٥٧ هـ . مسدد

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

(الحوكة) تنسب إليه وعاش سبعمائة وثمانين سنة وهو مدفون في أكر (كذا وفي نسخة بالري) السابع عشر: المعجز، شدة وأجازه وجميع القصارين تنسب إليه، وبمده جلس الإمام علي على السجادة وأمر سلمان الفارسي أن يشد الباقي من الصحابة بأجازه النبي - ص - وأجازه الإمام علي - رضي - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب (١) ... »

وفي خزانة كتبي نسخة من كتاب الفتوة هذا، قال مؤلفه فيه بمد ذكره ما يشبه الذي نقلت: « وكان أولهم (٢) عمران البربري، شدة وأجازه وجميع الخبازين تنسب إليه وهو مدفون بالري. و (٣) علي بن بنيامين، شدة وأجازه، وجميع السمانين تنسب إليه وعاش مائة سنة وعشرين سنة وهو مدفون بالقدس. و (٤) أبو عمرو بن عبد الباسط، شدة وأجازه وجميع من يدخل النار ينسب إليه، وهو مدفون بالري. و (٥) سلمان الكوفي، شدة وأجازه وجميع السفائين تنسب إليه وعاش مائة وستين سنة. و (٦) عبد الحسن بن عثمان، شدة وأجازه، وجميع نواطير نواه الحمام (كذا) تنسب إليه وهو مدفون في بغداد. و (٧) سلطان أخي بابا، شدة وأجازه وجميع الدباغين تنسب إليه وعاش مائة وستين سنة وهو مدفون في مدينة مردي (كذا أي مردي). و (٨) زاهد القطان، شدة وأجازه، وجميع القطانين تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة. و (٩) داود بن عبد الرحمن، شدة وأجازه، وجميع الخياطين تنسب إليه وعاش تسعاً وخمسين سنة، وهو مدفون بالري، و (١٠) خليل بن عبد الله، شدة وأجازه وجميع الاتباعية تنسب إليه، وعاش تسعين سنة وهو مدفون في الجزائر. و (١١) عمر بن عامر، شدة وأجازه، وجميع القرائين (٣)، وهو مدفون بالكوفة. و (١٢) أبو سعيد

(١) نسخة باريس ١٣٧٧ من الورقة ١٩.

(٢) أي أول من عدم وتمام سلمان الفارسي.

(٣) هكذا ورد ويجوز أن يكون « القرائين » بفتح القاء وتشديد الراء جمع القرائ أي صاحب القرن، الذي يغير فيه، ويشوي ويصلح أحياناً. ولو ورد « القراء » بالالف اصطلاحاً فنقرأ القرآن ومقرئه لكان « القرائين » جمع « القراء » على أنه يجوز هذه الصيغة قياساً.

الوارث ، شدة وأجازة وجميع البايديّة (كذا) تنسب إليه وعاش مائة وثلاثين سنة . و (١٣)
عقيل ، شدة وأجازة وجميع الحفاظ تنسب إليه . و (١٤) منصور بن معاذ ، شدة وأجازة ، وجميع
المصنفين تنسب إليه . و (١٥) قاسم الكوفي ، شدة وأجازة وجميع الكتبة أصحاب الأعلام تنسب
إليه . و (١٦) عبد الله اليتيم ، شدة وأجازة ، وجميع مجلدي المصاحف تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة .
و (١٧) حسان بن ثابت ، شدة وأجازة وجميع الشعراء تنسب إليه وهو مدفون في المدائن .
(١٨) حمزة بن النخعي ، شدة وأجازة وجميع العماليق تنسب إليه وهو مدفون في المدائن .
و (١٩) أبو زيد الهندي وجميع الحدادين تنسب إليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في
المدائن و (٢٠) حبيب بن عبيد الدين ، شدة وأجازة وجميع النخاسين تنسب إليه وعاش مائة
سنة وهو مدفون بالري . و (٢١) أبو قاسم المبارك ، شدة وأجازة وجميع الفلاحين تنسب إليه
وعاش مائة وثمانين سنة وهو مدفون في شيراز . و (٢٢) النجاشي بن قاسم (كذا) شدة
وأجازة ، وجميع البيطرة تنسب إليه ، وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون بالهرمز . و (٢٣)
نصر بن عبد الله ، شدة وأجازة وجميع الصباغين تنسب إليه ، وعاش ثمانين سنة وهو مدفون
بالكوفة . و (٢٤) نصيب بن تميم ، شدة وأجازة وجميع الحلوانية تنسب إليه وهو مدفون
بالبحر . و (٢٥) حسام بن عبد الله البصري ، شدة وأجازة ، وجميع المطالين تنسب إليه
وعاش مائة سنة . و (٢٦) عبد الله بن جعفر الطيار شدة وأجازة وجميع الخزائين تنسب إليه وهو
بالكوفة . و (٢٧) عبيد الله بن عبد الله الخزاعي ، شدة وأجازة ، وجميع الخالين تنسب إليه
وهو مدفون بالهرمز . (٢٨) محمد بن أكبر ، شدة وأجازة وجميع البوابجية^(١) والسراجية^(٢)
تنسب إليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بالجزائر . و (٢٩) عمار بن ياسر ، شدة

(١) ظاهرها أنها جمع « البوابجي » وهو صانع البابوح أي خف للراءة بهيأته المعروفة ال اليوم .

(٢) ظاهرها أنها جمع « السراجي » أي صانع السراجية وهي السداس ، والسراجية معروفة بمصر

والشام اليوم .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وأجازته ، وجميع السمرجية (كذا) تنسب إليه وعاش ثمانياً وسبعين سنة وهو مدفون بالكوفة .
 و (٣٠) أبو النضر بن هاشم ، شدة وأجازته ، وجميع السراجين تنسب إليه وعاش ستين سنة
 وهو مدفون بمكة - شرفها الله تعالى - . و (٣١) سيد الهندي ، شدة وأجازته وجميع الصوفية
 تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٢) أبو الفتح عيسى بن عبد الله البصري ، شدة وأجازته ،
 وجميع الاسكافية تنسب إليه . و (٣٣) ناصر بن عيسى بن عبد الله المكي ، شدة وأجازته وجميع
 الخليفة تنسب إليه . و (٣٤) نصر بن عبد الله الهندي وأجازته ، وجميع الفراشين تنسب إليه .
 و (٣٥) حسن الفتي النازي ، شدة وأجازته ، وجميع صناع السلاح تنسب إليه . و (٣٦)
 عمر بن الحراني ، شدة وأجازته وجميع الجاويشية تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٧)
 نصر الله بن سماله ، شدة وأجازته وجميع السماكين تنسب إليه . و (٣٨) أبو قاسم التجار ،
 شدة وأجازته وجميع التجارين تنسب إليه . و (٣٩) عيسى بن حبيب ، شدة وأجازته
 وجميع الخراطين تنسب إليه . و (٤٠) قاسم بن نصر ، شدة وأجازته وجميع الخجاريين تنسب
 إليه . و (٤١) سميد بن سعد بن أبي وقاص ، شدة وأجازته وجميع النشاشورية تنسب إليه .
 و (٤٢) أبو محارب بن عمران ، شدة وأجازته ، وجميع القواسين تنسب إليه . و (٤٣) ناصر
 ابن عبد الله ، شدة وأجازته ، وجميع القتالين تنسب إليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون
 باليمن . و (٤٤) عمر بن نصير الوتار ، شدة وأجازته ، وجميع الوتارين تنسب إليه . و (٤٥) الملاي ،
 شدة وأجازته ، وجميع الفواخرة تنسب إليه . و (٤٦) غيث بن الحراني ، شدة وأجازته ،
 وجميع الخرائين والزرايين تنسب إليه . و (٤٧) أبو زيد الهندي ، شدة وأجازته ، شدة
 وأجازته ، وجميع اليسانية (كذا) تنسب إليه . و (٤٨) محمد بن الكبير الوسطاني
 شدة وأجازته وجميع الطباقين تنسب إليه . و (٤٩) ورقة بن المدادي ، شدة وأجازته
 وجميع خياطي المراق تنسب إليه . و (٥٠) عون بن عمران ، شدة وأجازته . و (٥١) أبو
 شارب العراقي ، شدة وأجازته وجميع رعيان القم تنسب إليه . و (٥٢) طيفور المكي ،
 شدة وأجازته ، وجميع الحرفوشية تنسب إليه . و (٥٣) أحمد بن عبد الله ، شدة وأجازته ،



مصطفى جواد

وجميع الصابونية تنسب إليه . و (٥٤) نصير بن مضيضة ، شدة وأجازته وجميع رساي اللحن تنسب إليه . و (٥٥) ناصر الهندي ، شدة وأجازته ، وجميع الضوية (ككنا) تنسب إليه و (٥٦) الشاذلي ، شدة وأجازته وجميع القهوجية تنسب إليه . و (٥٧) محمد بن عبد الله ، أجازته وجميع السقائين تنسب إليه . وهذه البشارة ^(١) أصحاب الشد والعهد سبعة عشر ، شدم الامام علي والتسعة والخمسون ^(٢) شدم الأخ العزيز سلمان باك الفارسي — رضوان وسلامه عليهم أجمعين — . ^(٣) .

وهذه الجمهرة من أسماء الصحابة المحرفة والمصحفة وأسماء غيرم الشوكة تدل على أن جميع أصحاب الحرف والصناعات دخلوا في الفتوة ، وأن كل متف النسب الى أحد الصحابة أو رجل آخر لاسلة بالمصحبة النبوية ولكنهم أحبوه وصحبوه وعندهم تسقط قيم التواريخ والأزمان والأعمار فلا يستغرب عدهم أن يكون ذو النون المصري الذي هو من أهل القرن الثالث للهجرة معاصراً للمقوقس نائب الروم بمصر في صدر الاسلام وسفيراً إليه من النبي - ص - . وهكذا أصبحت الفتوة في عصورها الأخيرة أسنافية عامة شعبية ، وقد أدت تدهورها وتدنيتها وانحطاطها الى خروجها من المسكاهم والفضائل والشهامة والنبالة التي أسست عليها ، فأصبحت خطراً على المجتمع كالذي صارت إليه في القرن الثاني والثالث وما بعدها ، والظاهر أنها قوتومت مقاومة شديدة وأختص بها الأشرار والعيارون والزعاب ، حتى لقد سمي الميثار في مصر في العصور الأخيرة : « فُشوات » باسم الجمع كما قال القدماء « فلان سيفلة » وكما قال المراقبون المعاصرون ادسا « فلان أشقياء » أي شقي .

مصطفى جواد

(١) جمع « البير » أي الرئيس وشيخ الشيوخ بالفارسية .

(٢) المذكورون في الكتاب « ٥٧ » ولعل النسخة ناقصة أو لعل الأمل « الحج والحدون » .

(٣) كتاب الفتوة « نسخي الخطية » الورقة ٣٧ — ٤٠ .